المواطنين الى هذه المواد والسلع ، فكانوا يبيعونها باضعاف ثمنها • بالاضافة الى زيادة اعتماد السكان على المبادلة البضاعية والسوق بعد حصولهم على العملة الورقية بدلا من محاصيلهم الفائضة وبدلا من العملة الذهبية •

٢ ـ البنى الاجتماعية في شرقي الاردن في مطلع القرن العشرين •

١ ـ التركيب الاجتماعي للريف الاردني •

من الصعب النظر الى الريف الاردني قبيل الحرب الاولى كريف متجانس التركيب الاجتماعي ، فهو كما بينا يجمع ما بين انماط اقتصادية متعددة : المشاعي والاقطاع الشرقي والبضاعي الصغير • وفي معظم المناطق كان نمط الانتاج الاقطاعي يتطور ويترسخ ولا سيما في نهاية الحكم العثماني • والى جانبه كان نمط الانتاج البضاعي البسيط ، كنتيجة لتفسخ الملكية المشاعية وتطور العلاقات البضاعية •

نجد ان جذور الاقطاعية الشرقية قوية في مرتفعات الشمال وحتى ما قبل قرن من هذه الفترة ، حينما زار بيركهارت شرقي الاردن عام ١٨١٢ ، كانت الملامح العامة للتكون الاقطاعي بارزة على الرغم من التقهقر الاقتصادي العام (٥٧) ، ويبدو النمط الاقطاعي للانتاج في البلاد ، ثمرة لطريقين ، طريق تطور الشيوخ العشائريين الى اقطاعيين ، حيث تنفصل القمة او الاسرة النافذة عن باقي القبيلة او العشيرة وتتحول الى اسرة اقطاعية تحظى باقتطاع الريع من فلاحيها ، وهي غالبا ما تكون بمثابة المتعهدة للوالي بجمع الضرائب ، سواء اكان الوالي تابعا للسلطة العثمانية المركزية او متمردا عليها • او يكون النموذج الاقطاعي مزروعا عن طريق الدولة العثمانية نفسها ، اي الاقطاعيات العسكرية التي تمنح في البداية ثم تورث لاسرة الاقطاعي العسكري المتوفي ، بيد ان النموذج الاقطاعي في شرقي الاردن تطور بشكل رئيسي وفق الطريق الاول وليس الطريق الثاني ، لاسباب متعلقة بطبيعة البلاد وكثرة التغييرات وانعدام الامن وضعف السيطرة العثمانية ذاتها •

من الصعب احيانا تمييز نمط الملكية والانتاج الاقطاعي عن نمط المرحلة الاخيرة من المشاعية ، اي المرحلة التي تشهد تمايز الارستقراطية عن باقي السكان بملكيتها الشخصية للارض • اذ يبدو ان السمات القبلية للشيخ تظل حية لدى الزعيم الاقطاعي ، ولا سيما في المجال الاجتماعي ، لكن الشواهد المختلفة خلال القرن

---

(٥٧) بيركهارت ، ص ٣١ ـ ٣٢ •